www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)
المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6
E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852
Vol. 7, Issue 2, 2025, pp. 77 - 93

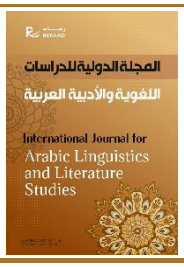

The Concept of Criticism Between Theory and Practice (Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz as a Model)

Mohammed Abdallah Fadlalla[1*], Ali Amin Hassan[2], Musa Alkleem Abdalla[3]

[1] Associate Professor of Literature and Criticism, Faculty of Education, University of Nyala, Sudan.
[2] Ph.D. in Arabic Language, Literature, and Criticism, Higher Institute for Teacher Training, Chad.
[3] PhD in Arabic Language, Literature and Criticism, King Faisal University, Chad.
[*] Corresponding Author: Mohammed Fadlalla (mohdhsham@gmail.com)

مفهوم النقد بين النظرية والتطبيق (أبو عثمان عمرو بن بحر نموذجًا)

محمد عبد الله فضل الله[1*]، علي أمين حسن[2]، موسى الكليم عبد الله[3]

[1] أستاذ الأدب والنقد المشارك- كلية التربية- جامعة نيالا- السودان.
[2] دكتوراه في اللغة العربية- الأدب والنقد- المعهد العالي لإعداد المعلمين- تشاد.
[3] دكتوراه في اللغة العربية الأدب والنقد- جامعة الملك فيصل- تشاد.
*الباحث المراسل: محمد فضل الله (mohdhsham@gmail.com)

This file is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International

Received	Revised	Accepted
استلام البحث	مراجعة البحث	قبول البحث
2025/4/1	2025/5/28	2025/7/15

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2025.7.2.4

Abstract:

Objectives: This study is dedicated to exploring certain concepts by Abu Uthman, in the hope that it will serve as a valuable addition to the Arabic library. Delving into these critical theories enables us to gain a deeper understanding of both classical and contemporary literary criticism theories.

Methodology: The nature of the study requires the use of the historical method to identify the features of the personality, trace its life, and document its scholarly contributions. This is followed by the descriptive-analytical method to examine, present, and analyze the critical material, and subsequently derive conclusions from it.

Conclusion: Focusing on the Abbasid era and its distinctive features, such as the strength of the caliphate, the greatness of the caliphs, and the glory of the state influenced by previous civilizations, Al-Jahiz highly praised expression (wording). However, this does not mean that he prioritized it over meaning. Moreover, he did not refer solely to the individual word or the individual meaning.

Keywords: *Concept; Criticism; Theory; Al-Jahiz.*

الملخص:

الأهداف: خصص هذا البحث لبعض المفاهيم عند أبي عثمان، نأمل أن يكون إضافة للمكتبة العربية، إذ أن الوقوف مع هذه النظريات النقدية يجعلنا أكثر إلمامًا بنظريات النقد الأدبي المعاصر والقديم.

المنهجية: طبيعة البحث تقتضي استخدام المنهج التأريخي لتحديد ملامح الشخصية وتتبع حياتها وتوثيق آثارها العلمية، ثم المنهج الوصفي التحليلي، لرصد المادة النقدية وتوظيفها وعرضها وتحليلها ومن ثم استنباط النتائج منها.

الخلاصة: الوقوف عند العصر العباسي وما امتاز به من قوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة متأثرًا بالحضارات السابقة، وأشاد الجاحظ باللفظ كثيرًا، وهذا لا يعنى أنه يقدمه على المعنى، وهو لا يقصد به اللفظ المفرد وحده أو المعنى المفرد وحده.

الكلمات المفتاحية: *مفهوم؛ النقد، النظرية؛ الجاحظ.*

الاستشهاد

Citation

فضل الله، محمد، حسن، علي، عبد الله، موسى. (2025). مفهوم النقد بين النظرية والتطبيق (أبو عثمان عمرو بن بحر نموذجًا). *المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية*، 7 (2)، 77-93.

Fadlalla, M. A., Hassan, A. A., & Abdalla, M. (2025). The Concept of Criticism Between Theory and Practice (Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz as a Model). *International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies*, 7 (2), 77-93. https://doi.org/10.31559/JALLS2025.7.2.4 [In Arabic]

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

هذا البحث تناولنا فيه المفاهيم النقدية التي وقف عندها أبو عثمان، وقد جاءت تلك المفاهيم متناثرة في شكل قضايا ونظريات في بعض مؤلفات الجاحظ. ومن تلك المفاهيم مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول النقد بين النظرية والتطبيق ثم تطبيق ذلك على أديب من أدباء الأدب العربي وهو الجاحظ. فعلى الرغم من كثرة ما كُتب عن أبي عثمان عمرو بن بحر ونقده؛ فإنّه مازال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل؛ ولا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه المدارس النقدية.

والأدب بقسميه الشعر والنثر يمثلان المادة الخام للنقد، والأدب أسبق للنقد.وهذه مراجعة لأهم القضايا النقدية التي وقف عندها أبو عثمان عمرو بن بحر وتقوية لبعض المفاهيم ودراستها في إطار النظرية والتطبيق، فكانت هذه الوقفة من خلال بعض مؤلفاته.

أهداف الدراسة:

هذا البحث الذي خصص لبعض المفاهيم عند أبي عثمان، نأمل أن يكون إضافة للمكتبة العربية، إذ أن الوقوف مع هذه النظريات النقدية يجعلنا أكثر إلمامًا بنظريات النقد الأدبي المعاصر والقديم.

حدود الدراسة:

حاولنا حصر حدود هذا البحث عند بعض القضايا التي أدركتاها للوقوف عندها بما يتوافق مع نظرية النقد الأدبي قديمًا وحديثًا.

منهج الدراسة:

طبيعة البحث تقتضي استخدام المنهج التأريخي لتحديد ملامح الشخصية وتتبع حياتها وتوثيق آثارها العلمية، ثم المنهج الوصفي التحليلي، لرصد المادة النقدية وتوظيفها وعرضها وتحليلها ومن ثم استنباط النتائج منها.

الدراسات السابقة:

هناك مؤلفات تحدثت عن النقد وتأريخ النقد القديم والحديث مشتملة على المفاهيم الأساسية للنقد، ولقد وقفنا عند بعض آراء الجاحظ النقدية التي وردت في بعض هذه المؤلفات.

المبحث الأول: العصر

امتاز العصر العباسي الأول (132-232هـ) بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة متأثرًا بالحضارات السابقة، وظهرت فيه الشعوبية، وفي هذا العصر ولد أبو عثمان "فلما جاءت الدولة العباسية بحرية الشعوب المسلمة على اختلاف أجناسهم كان الفرس أول من استجاب للدعوة العباسية واقتدى بهم كل من تطاول إلى شرف الرئاسة أو سعة الجاه في هذه الدولة" (شوقي،ص 23).

فالعصر العباسي الأول عرف بالعصر الذهبي للأمة العربية وهو عصر هرون الرشيد وابنه المأمون.

1. البيئة السياسية

"أخذ العباسيون يرفعون الراية السوداء رمزًا لسلطانهم من مكان إلى مكان والنصر حليفهم، وإذا بلاد الشام كلها تفتح بجيوش الثائرين. وانتهج العباسيون نهج القياصرة والأكاسرة في تنظيم دولتهم و مالوا إلى الترف معتمدين في ذلك على من يقوم مقامهم في مباشرة الأعمال" (شوقي،ص 19).

"إن طابع الدولة واستقرار الحكم فيها تتحكم فيه البيئة الاجتماعية إن كانت متصلة ومترابطة، غير أن اقتصاديات الدولة العباسية أغلبها انحصر في أيدي الخلفاء لوصفهم الذاتي والاجتماعي حيث كانت اقتصاديات البلاد واسعة جدًا مما أفسح لها مجالًا واسعًا في الترف الذي عاش فيه الخلفاء حياة البذخ؛ فهم يمثلون طبقة خاصة، وهي صاحبة الثروة والنفوذ والجاه فحياتهم مترفة لاهية، على حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس" (أمين، 1958، ص97).

"وانتشرت تجارة الرقيق حيث كان في بغداد شارع يسمى (شارع دار الرقيق)، وكان الأرقاء ولا سيما الجواري، أنواعًا مختلفة؛ فهناك السود من السودان والبيض من أتراك وصقالبة وغيرهم، مما جعل الجاحظ يشبّه أصناف الرقيق عند النحاسين بألوان الحمام، فشبّه الصقالبة بالحمام الأبيض والزنج بالحمام الأسود" (شوقي، ص102).

كما ظهرت بعض الظواهر التي يجب الإشارة إليها كالزهد والتنسّك والوعظ والإرشاد والزندقة. بجانب ذلك كانت الدولة قد ضمت إليها من الشعوب ما اختلفت أجناسهم ودياناتهم من مسلمين متعددي الفرق ونصارى مختلفي النزعات ومن يهود وصابئة. وكانت المعتزلة من أشهر الفرق

الدينية في ذلك العهد بل أشهرها على الإطلاق وأشدها تأثيرًا في التحرر الفكري الذي يخالف ثوابت أهل السنة.

2. البيئة الثقافية

ماذا نعني بالثقافة في العصر العباسي؟ "نعنى بذلك تفاعل العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية التي ساعدت على قيام الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية. وهذه لم تكن امتدادًا للإرث العربي الذي بانت كل ملامحه في العصر الأموي، ولاسيما الجاهلية، مما دعّم بنية العصر العباسي بثقافات خارجية اقترنت مع الثقافة العربية حيث صارت البيئة الثقافية من أقوى العوامل في النهضة العباسية. إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في نواحيها المتعددة ويمدونها بمالهم وجاههم، وقد بالغوا في إكرام الأدباء فجالسوهم وولوهم أحيانًا المناصب العالية، ثم حذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء في أكبر مدن الدولة وكانوا يتنافسون في ذلك كما يتنافسون في فتح دور العلم". (شوقي، ص102).

3. أنواع الثقافات السائدة

- الثقافة العربية الخالصة: وهي ثقافة تعتمد على القرآن والحديث وما يتصل بهما من علوم الدين كالتفسير والفقه والكلام والتصوف وما إلى ذلك، اعتمادها على الشعر وما يحيط به من العلوم الأدبية كالنحو واللغة وغيرها.
- الثقافة اليونانية.
- الثقافة الشرقية.

"كذلك اتصلت الثقافة الهندية بالدولة بواسطة التجارة والفتوحات التي شملت قسمًا كبيرًا من الهند، ويرجع انتشار تلك الثقافات في البلاد إلى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها" (شوقي، ص102).

في العصر العباسي الأول وفي تلك الثقافات عاش الجاحظ مصورا تلك الحقبة ومؤرخًا لها.

4. اسمه

"عمرو بن بحر بن محبوب، الكناني بالولاء، الليثي، البصري ولادة ووفاة، البغدادي إقامة،كنيته أبو عثمان، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي لبروزهما ونتوئهما" (فؤاد،1990، ص68). كبير أئمة الفكر والثقافة، وكبير شيوخ اللغة والأدب والنقد والبيان. وإمام من أئمة المعتزلة، ومؤسس فرقة من المعتزلة سميت باسم الجاحظية. من أشهر كتبه (الحيوان) وهو أكبر كتبه وأغزرها مادة و(البيان والتبيين) و(البخلاء) وهو كتاب في النقد الاجتماعي والخلقي.

5. مولده

ولد الجاحظ في البصرة التي وصلت أوج ازدهارها حتى أصبحت من أعظم قبل العلم وبيئة من أخصب البيئات الثقافية التي التقى فيها بالعلماء والأدباء واجتمعوا بالمربد. أما تاريخ ميلاده فقال الجاحظ: "أنا أسنّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في أخرها" (الحموي، 1922،ص75).

لهذا اعتمد ياقوت في تحديد سنة مولده سنة 150هـ، وهو أمر اختلف فيه المؤرخون بين الأعوام (155هـ-159هـ-163هـ- 165هـ).

6. نسبه

ما قاله الخطيب البغدادي و من بعده ابن عساكر أن الجاحظ ينتسب إلى قبيلة مضرية من كنانة ضاربة في جهات مكة، على أنه إما كناني أو مولى لهذه القبيلة على أنهما يذكران بعد ذلك خبرًا يصعد إلى خال أم الجاحظ الذي قال: (كان فزارة جد الجاحظ عبدًا أسود وكان جمّالًا لعمر بن طلحة الكتاني (فؤاد،1990 ، ص75).

7. مَنْ سُمّوا بالجاحظ

"محمد بن أحمد(305هـ) الكوفي، البغدادي وفاة ويكنى بأبي موسى، وهو نحوي لغوي لقب بالجاحظ ربما تشبيهًا بالجاحظ أما في جحوظ عينيه أو في سعة علومه وغزارة معارفه. الجاحظ الثاني (521هـ) هو محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي أبو القاسم، لغوي أديب ومناظر أقام مدة بخوارزم ثم ارتحل إلى مروفزنج، لقبه الزمخشري بالجاحظ لكثرة حفظه وفصاحة لفظه تشبيها له بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" (فؤاد،1990، ص68).

المبحث الثاني: مفهوم النقد

1. مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح

كلمة النقد كما نجدها في المعاجم العربية (الجوهري وآخرون،1986،ص8) مأخوذة في الأصل من (نقد الصيرفي الدراهم والدنانير وانتقدها) أي ميز صحيحها من زائفها، وجيدها من رديئها. ومن معانيها أيضًا النقاش يقال: ناقش فلان فلانًا في الأمر، إذا ناقشه فيه ومن هذا المعنى للكلمة جاء معنى النقد في الأدب؛ ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديئه ليس إلا من جنس عمل الصيرفي في نقد الدراهم والدنانير (عتيق،1986، ص8). ومن معانيها تقشر في الحافر وتآكل في الأسنان.

2. النقد في الاصطلاح

أما النقد في الاصطلاح فهو: "تحليل القطعة الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى إلاّ في العصر العباسي" (شوقي،ص8). ويشمل التحليل دراسة النص دراسة شاملة تقوم على التفسير والموازنة ثم يأتي إصدار الحكم عليه ببيان قيمته وهذا ما سلكه ابن قتيبة. ولا يكفي لكي نعرف النقد أن نقف عند معنى اللفظ وحده وهو لفظ (النقد) لأن تحديد معنى اللفظ يضطرنا في أغلب الأحيان إلى الدراسة التأريخية.

عرّفه قدامة بن جعفر(ت 337ه) في أدق معانيه بأنه فن دراسة الأساليب وتميزها، وقال أبو هلال العسكري (ت 395ه) ما كان لفظه سهلًا ومعناه مكشوفًا بينًا فهو من جملة الرديء المردود والكلام يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته وتخير لفظه وإصابة معناه (العسكري، 1964،ص 69-70). وفي هذا إشارة إلى التمييز بين ما هو جيد ورديء، وعرفه الدكتور عز الدين إسماعيل بمعنى (الحكم الأدبي).

3. وظيفة النقد

أما وظيفة النقد الأدبي كما قال سيد قطب فتتلخص في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمته التعبيرية والشعورية وتعين مكانه في خط سير الأدب وتحدد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته وفي العالم الأدبي كله وقياس مدى تأثره بالمحيط وتأثيره فيه وتصوير سمات صاحبه و خصائصه الشعورية والتعبيرية (قطب، 1990،ص7).

والعمل الأدبي هو موضوع النقد الأدبي (وليس هناك تأريخ محدد لبداية النقد وذلك لأن النقد الأدبي يأتي في مرحلة متأخرة عن الأثر الأدبي وكان هو الشعر في العصر الجاهلي، وليس هناك بداية جازمة لتأريخ النقد تلازم الشعر في الفترة الجاهلية وكان أحكاما عامة و موجزة) (فاروق،ص7).

فالعمل الأدبي وغايته وقيمه الشعورية والتعبيرية والكلام عن أدائه وطرائقهاوفنونه هي نفسها (النقد الأدبي)، فالعمل الأدبي هو "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" (قطب،ص9).

"ومن الناس من لديهم استعداد فطري للنقد أي للتمييز بين ما هو حسن أو غير حسن من الأشياء؛ فالأدب أسبق إلى الوجود من النقد لأن العمل الأدبي هو مادة الناقد والنقد، لا ينفصل أبدًا عن البلاغة وهي شقيقته الكبرى وفيجزء منه بلاغة محدودة وفي جزء آخر بلاغة موسعة ولقد نبعا من أصل واحد. والنقد كان ولا يزال يقوم في بنائه على أسس بلاغية" (فاروق،ص7).

ولقد أدّت أسواق العرب دورًا مهمًا في النقد؛ حيث كان الشعراء يلقون قصائدهم فيها ويحكمونعليهامن بعد. ويمكن القول إن النقد الجاهلي يلقى مختصرًا، مجملًا، بلا تعليل كنقد طرفة بن العبد لخاله المتلمس:

وَقَد أَتَناسى الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ بِناجٍ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَمِ

فقال طرفة: (استنوق الجمل) حيث الصيعرية سمة من سمات النوق، وقد وصف بها جمله، ثم قال المتلمس: لطرفة ويل لك من هذا؛ أي سيكون حتفك من لسانك و ستقتل بسببه وقد كان ذلك. من هذه المعاني أسس الجاحظ لمدرسته النقدية.

المبحث الثالث: مفاهيم أبي عثمان عمرو بن بحر النقدية

1. مفهوم اللفظ المعنى

نظرية (اللفظ والمعنى) من النظريات النقدية في الأدب العربي التي كانت وما زالت موضع اهتمام قديمًا وحديثًا، وهما من عناصر العمل الأدبي، ومن الخصائص التي تؤخذ في الاعتبار عند تقديره والحكم عليه.

وأبو عثمان عمرو بن بحر من أوائل أدباء العرب الذين بحثوا في (اللفظ والمعنى) من زوايا متعددة وجوانب مختلفة. فهو يرى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه، وأن ذلك لا يتم في رأيه إلا عن طريق المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ وهو في تثبيت هذا الرأي وتوضيحه يقول: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع، بعيد الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في الكريمة" (الجاحظ، 1985،ص87)

ومن ناحية ثانية يرى أن الأدب والشعر منه على سبيل المثال ليس في المعنى وحده، لأن المعاني في متناول الجميع، ولا يكفي في المعنى أن يكون شريفًا حتى يكتسب به الكلام صفة البلاغة، وإنما الأسلوب القوي الحكم بكل عناصره هو الذي يجلوه ويضفي عليه من نعوت البلاغة، وبالتالي يحدث تأثيره في النفوس.

وعن ذلك يقول:"وذهب الشيخ أبو عمرو الشيباني إلى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير" (الجاحظ، 1985، ص311).

ولكن ينبغي ألّا يفهم من هذا القول أن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول، لأننا نراه ينوه بألوان المعاني الغريبة العجيبة، والشريفة الكريمة، والبديعة المخترعة، فقال مقولته (المعاني مطروحة)، فهو يرى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه، فيدعي كل أنها من بنات أفكاره ووحي خياله، وكيف أن من هذه المعاني ما يخرجه الشاعر إخراجًا لا يبارى في تصرف الشعراء عنه عجزًا (الجاحظ، 1988، ص311).

وقد استرشد الجاحظ وهو يعالج قضية (اللفظ والمعنى) إلى حقيقة هامة لها أثرها في البلاغة والنقد الأدبي، هذه الحقيقة هي أن لكل فن من القول ولكل أديب ناثرًا أو شاعرًا ألفاظه أو معجمه اللغوي الخاص.

قال الجاحظ:"ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم، وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض وصاحِب كلامٍ منثور، وكل شاعر في الأرض وصاحِبِ كلامٍ موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهِجَ وألف ألفاظًا بأعيانها؛ ليديرَها في كلامه، وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني، كثيرَ اللَّفظ.." (الجاحظ،1988، ص311).

ولعله أخذ هذه الحقيقة من بشر بن المعتمر حيث لاحظ أن للمتكلمين ألفاظًا خاصة تدور على ألسنتهم وفي بيئتهم، وأنه حري بهم ألا يستعملوها في كلامهم للعامة (الجاحظ، 1985،ص139).

وأن ذلك لا يتم في رأيه إلا عن طريق المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ وهو في تثبيت هذا الرأي وتوضيحه يقول: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه ... فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع، بعيد الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة" (الجاحظ،1988، ص83).

ومن ناحية ثانية يرى أن الأدب والشعر منه على سبيل المثال ليس في المعنى وحده، لأن المعاني في متناول الجميع، ولا يكفي في المعنى أن يكون شريفًا حتى يكتسب به الكلام صفة البلاغة، وإنما الأسلوب القوي الحكم بكل عناصره هو الذي يجلوه ويضفي عليه من نعوت البلاغة (الجاحظ، 1988،ص131)

2. مفهوم نظرية النظم

وحديث أبي عثمان عن (اللفظ والمعنى) لا يقصد به اللفظ المفرد وحده أو المعنى المفرد وحده، وأشاد باللفظ كثيرًا وهذا لا يعنى أنه يقدمه على المعنى، لأنه في الوقت الذي كان يشيد فيه بالقيمة اللفظية كان يرى في المعاني رأي العتبانيّ من أنها (تحل من الألفاظ محل الروح من البدن).

وعليه فبلاغة الكلام عنده هي في المزاوجة أو الملاءمة بين اللفظ والمعنى وهذه المزاوجة أو الملاءمة تتمثل في الأسلوب المحكم، أو في (نظم) الألفاظ التي يتطلبها المعنى على نحو يسمح لجوهر المعنى أن يظهر كاملًا واضحًا مؤثرًا، فنظم الكلام على هذا المنوال هو الذي يضفي عليه صفات البلاغة ويعطيه قوة التأثير في النفوس.

وأضاف أبو عثمان لفظة (النظم) إلى قاموسه اللُغوي للإشارة إلى أكثر من معنى، فهو قد تحدث كثيرًا عن (النظم) بمعنى التأليف والإنشاء، وجعل له أنواعًا من القصيد والرجز المزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور.

كما ذكر الجاحظ (النظم) في حديثه عن إعجاز القرآن حيث قال إن إعجازه إنما هو في (نظمه). وقال: (إن الرسول تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه) وفي مرة أخرى قال: (إن الله صرف نفوس العرب عن المعارضة للقرآن، ورفعها عن أوهامهم بعد أن تحداهم الرسول بنظمه).

وفي مرة ثالثة قال: (وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أن صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد) (الجاحظ،1988،ص90). فأعطى الجاحظ اللفظ حقَّه، والمعنى حقه، وأتى بالصورة من العلاقة بينهما.

3. مفهوم قضية الطبع

وهي من القضايا التي اهتم بها النقاد قديمًا وحديثًا، وفى طليعتهم الجاحظ قال: "والمطبوعون على الشعر من المولّدين بشارُ العُقيليّ والسّيّد الحِميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عُيَيْنة" (الجاحظ،1985، ص50).

وقال الجاحظ في مسألة المطبوع والحاذق والتمويه للمعاني"أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ وحلاوةَ مخارج الكلام، فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظًا حسنًا وأعاره البليغُ مخرجًا سهلًا ومنحه المتكلم دَلًّا مُتعشّقًا صار في قلبك أحلى ولصدرك أملا. والمعاني إذا كُسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صُورها، وأربت على حقائق أقدارها بقدرِ ما زُينت وحَسب ما زُخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض و صارت المعاني في معنى الجواري والقلب ضعيفٌ وسلطانُ الهوى قويٌ ومَدخل خُدَع الشيطان خفيّ"(الجاحظ،1985، ص254).

فالقصد في هذا كله أنتتجنّب الحوشي والسوقي، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ.

ومن النسابين أبو إياس النصري وكان أنسب الناس وهو الذي قال: "كانوا يقولون أشعر العرب أبوداؤدٍ الأيادي وعدِي بن زيد العِبادي) (الجاحظ،1985، ص323).

وفي رداءة اللفظ والمعنى في الخطابة قال: "لم أجِد في خطب السّلفِ الطيّبِ والأعراب الأقحاحِ ألفاظًا مسخوطة ولا معانيَ مدخولة ولا طبعًا رديئًا ولا قولًا مستكرهًا وأكثرُ ما نجد ذلك في خطب المَوَلّدين وفي خطب البلديّين المتكلّفين من أهل الصنعة المتأدّبين، سواء أن كان ذلك منهم على جِهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتاج التحبير* والتفكير". (الجاحظ،1985، ص9).

وقال: "من شعراء العرب من كان يدع القصيدةَ تمكث عنده حولًا كريتًا وزمنًا طويلًا يردّد فيها نظره ويُجيل فيها عقله ويقلّب فيها رأيه اتّهامًا لعقله، وتتبّعًا على نفس فيجعل عقله زِمامًا على رأيه ورأيه عِيارًا على شعره، إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوّله الله تعالى من نِعمته وكانوا يسمُّون تلك القصائدَ الحولياتِ، والمقلّداتِ، والمنقّحات، والمُحكَمات، ليصير قائلها فحلًا خنديدًا، وشاعرًا مفلقًا" (الجاحظ،1985، ص9).

---

[1] التحبير : بمعنى التحسين والتفكر والتخير.

وفي بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ومنها الشَّواهد والشوارد، والشعراء عندهم أربع طبقات: فأوّلهم الفحل الخنديد. والخنديد هو التامّ. قال الأصمعي: قال رؤبة "الفُحولةُ هم الرواة، ودون الفحل الخِنديد الشاعر المُفلِقُ، ودون ذلك الشاعرُ فقط والرَّابع الشُّعرُور" (الجاحظ،1985، ص9). والشاهد على ذلك قول الشاعر في هجاء بعض الشعراء (الجاحظ،1985،ص9) :

يا رابِعَ الشعراءِ كيف هجوتني وزعمتَ أني مُفحَمٌ لا أنطِقُ

فجعله سكيتًا مُخلَّفًا، ومسبوقًا مؤخرًا. وقال سمعتُ بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث: شاعر وشوَيْعر، وشُعْرُور. وسمي منهم الشويعر صفوان بن عبد ياليل واسمه ربيعة بن عثمان. وقال: وكان زُهير يسمّي كبارَ قصائده: الحوليّات. وقد فسر سُويد بن كُراعٍ العُكليُّ* ما قلنا في قوله:

أَبِيتُ بأبوابِ القوافي كأنّما أُصادِي بها سِرباً من الوَحشِ نُزّعَا
أُكالئُها حتى أُعَرّسَ بعدما يكون سُحيراً أو بُعيداً فأهجَعا
عَواصِيَإلاّ ما جعلتُأمامَها عصا مِرّبَدٍ تغشي نحوراً واذرُعا
أهُبتُ بغُر الآبدات فراجعت طريقاً أمَلّتْهُ القصائدُ مَهْيَعا
بعيدةُ شأوٍ لا يكاد يُردُّها لها طالبٌ حتى يَكِلّ و يظلَّعا
إذا خِفْتُ أن تُروَى عَلَي رددتُها وراء التراقِي خشيةً أن تطلّعا
و جشّمني خوفُ ابنِ عَفّان رَدّها فثّقفْتُها حَولاً حَريداً و مَربْعَا
و قد كان في نفسي عليها زيادةٌ فلم أرَ إلا أن أطيعَ وأسمعَا

قال أبو عثمان في زهير والحطيئة وغيرهم من عبيد الشعر: "لولا أنّ الشعرَ قد كان استعبدَهم و استفرغ مجهودَهم حتى أدخلَهم في باب التكلُّف وأصحاب الصنعة لذهبوا مذهبَ المطبوعين وإنّما الشعر المحمود كشعر النابغة الجَعدي ورؤبة" (الجاحظ، 1985،ص13).

هذه الأبيات تناقش قضية المطبوع والمتكلف، فتمكث القصيدة حولًا كاملًا، خوفًا من النقد.

وفي ذمهم للتكلف لم يذموا التكلف للبلاغة فقط بل ذموا المتكلف للغناء، ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يسمونها.

قال أبو عثمان قال أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل وسبق بينها، فجاء فرساً له أدهم سابقًا فجثا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على ركبتيه فقال:"ما هو إلا بحرٌ" فقال عمر بن الخطاب:كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جيادَ الخيل لا تستفزّنُا... ولا جاعلاتُ العاج فوقَ المعاصِمِ

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزّه سَبق فرسِه ولكنه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيمِ شأنها.

وفي فظاعة الاسم قال أبو عثمان لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيبًا فقال: "إنّ أبا الذبان قتل لطيم الشيطان" (الجاحظ، 1985،ص29).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدّمها الرجلُ بين يدَي حاجَته يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللَّئيم" (الجاحظ، 1985،ص101).

وقال أبو عثمان: "كان مالك بن الأخطل قد بعثَه أبوه ليسمع شعرَ جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال: جرير يغرِف من بحر والفرزدق ينحِت من صَخر فقال الذي يغرف من بحرٍ أشعرهُما" (الجاحظ، 1985،ص117). أي أن جرير أشعر من الفرزدق.

وأنشد رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول طرفة:

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عِيشة الفَتَى وجدّك لم أحفِلْ متى قام عُوّدِي

فطرفة عاش حياته من هذه الغايات الثلاثة وهي متاع حياة.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لولا أن أسيرَ في سبيل الله وأضع جبهتي لله وأُجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمرِ لم أبالِ أن أكُونَ قد مُتُّ" (الجاحظ، 1985،ص195).

فطرفة يرى أن متاع الحياة في ثلاثة أشياء وهي مجالسة النساء، وشرب الخمر، وإكرام الضيف، بينما عمر رضي الله عنه يرى متاع الحياة الدنيا في ثلاثة وهي السير في سبيل الله، والسجود لله، ومجالسة قوم لا يتحدثون إلا بأطايب الحديث. وشتان بين الاثنين.

ولما سمع الأحنف فتيان بني تميم يضحكون من قول العرندس:

لَحَا الله قوماً شوَوا جارَهُمْ إذ الشَّاةُ بالدِّرهمين الشَّصِبْ
أرى كلَّ قومٍ رَعَوا جارهم وجار تَميم دُخَانٌ ذَهبْ

قال أتضحكون؟ أما والله إنّ فيه لمعنى سوء. وقال: وكان قبيصة يقول: (رأيتُ غُرفةً فوق البيت) (الجاحظ، 1985،ص237).

قال الكميت بن زيد:

لقد غيّبوا بِرّاً وحزماً ونائلاً عشيّةَ واراه الصّفيحُ المُنَصّبُ

قال أبو عثمان "وهذا شعر يصلُح في عامّة الناس" (الجاحظ،1985، ص240). و الكميت أكثر من مدح آل البيت، مثل هذا الشعر لا يرتقي أن

يكون في رسول الله صلي الله عليه وسلم، وعد الجاحظ كُثير عَزَّه من الحَمقى، ومن حُمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديحٍ استجاده، فقال له: سلني حوائجَك. قال تجعلني في مكانِ ابن رُمَّانة قال: ويلك، ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر. فلما خرج ولم ينل شيئاً قال في ذلك (الجاحظ،1985، ص241):

عجبتُ لأخذي خُطّةً ألغَى بعدما تبيّن من عبد العزيز قَبُولُها
فإن عَادَ لي عبدُ العزيز بمثلِها وأمكنني منها إذاً لا أُقِيلُها

قال ابن عبد يغوث:

ألا لا تَلوماني كفَى اللّومَ مابيَا فمالكما في اللّوم خيرٌ و لا ليَا
ألم تَعلما أنّ الملاَمَةَ نفعُها قليلٌ و ما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا إما عَرضْتَ فبلّغَن ندام اي من نَجرانَ أنّ لا تَلاقيَا
أقول وقد شدّوا لساني بِنسعةٍ أمعَشَرَ تميمٍ أطلِقُوا من لسانِيا
و تَضحكُ منّي شيخةٌ عبشميّة كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يمانِيا

قال الجاحظ: "ليس في الأرض أعجبُ من طرفةَ بنِ العبد وعبدِ يغوث وذلك أنا إذا قِسنا جودةَ أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حالة الأمن والرفاهِية" (الجاحظ،1985، ص268).

هنا إشارة إلى سبب موت طرفة الذي قتل بسبب لسانه حين تغزل بأخت الملك.

وقال الباهلي: قيل لأعرابي ما بالُ المراثي أجود أشعاركم؟ قال: "لأنّا نقول وأكبادنا تحترق". وقال: "كان العرب أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه في البيان أرفع وخطباؤهم للكلام أوجد والكلام عليهم أسهل... وليس هم كمن حفظ علم غيرهم ولم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم من غير تكلف ولا قصد" (الجاحظ،1985، ص321). ومن قدم الشعر قول الحارث بن يزيد وهو جد الأحيمر اللص السعدي: قال: لا أعق ولا أحوب ولا أغير على مصر ولكنما غروي إذا ضج المطي من الدبر. ومن جيد الشعر قول جرير (الجاحظ،1985، ص24):

لئن عمرت تميم زماناً بغرةٍ لَقَد حُديَت تميم حداءً عَصَبْصَبَا
فلاَ يَضغمَّن الليثُ تيما بِغرةٍ و تيم يَشِمُّون الفريس المُنَيَّبا

ومن قدر الشعر وموقعه في النفع و الضر، أن ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة لما عرضت لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها فقالرسول الله صلى الله عليه و سلم: لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته. (الجاحظ،1985، ص23). وشعرها هو:

يا راكباً إن الأثَيلَ مَظِنّةٌ من صُبحِ خامسةٍ وأنتَ موفّقُ
أبلِغْ بها ميتاً بأن قصيدةً ما إن تَزالُ بها الركائبُ تَخفِقُ
فليسمعَنّ النّضْرُإن ناديتُهُ إن كان يَسمعُ ميّتٌ لا يَنطِقُ
ظلّت سيوفُ بني أبيهِ تنُوشُه للّهِ أرحام هُناكِ تَشقَّـقُ
قَسْراً يُقادُ إلى المنّيةِ مُتعَباً رَسفَ المقيّدِ وهْو عانٍ مُوثَقُ
أمُحَمّدٌ ها أنتَضَنِّجيبُةٍ في قومِها و الفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كانَ ضرّكَ لوْ مَنَنتَ ورُبّما مَنّ الفتَى وهو المَغيظُ المُحنَقُ
فالنّضر أقربُ مَن تركتَ قرابةً وأحقُّهم إن كان عتقٌ يُعتـقُ

وقال خلفٌ: لم أرَ أجمعَ من بيت امرئ القيس:

أفادَ وجادَ وساد فزادَ و قادَ ودادَ وعادَ فأفضلْ

هذا البيت يشير إلى تفوق امرئ القيس على أقرانه وهو من فحول الشعراء.

"وجرى على طريقة امرئ القيس هذه أبو العميثل الأعرابي ثم المتنبي" (الجاحظ،1985، ص53)

قال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله الكلابي:

يا قيسَ عَيلانَ إنّي قد نَصبتُ لكمْ بالمَنْجنِيقِ ولمّا أرْسِل الحَجرا

قال: "فوثب المهاجرُ فأخذ بحَقوه وقال: لك العُتَبى يا أبا حَزْرة لا ترسِله" (الجاحظ،1985، ص84)

وقد خاف المهاجري من أن ينشر هذا الشعر فوثب لإرضائه.

كان الناس يخافون هجاء الشعراء فيعملون على إرضائهم، فجرير قد نصب لذلك منجنيقًا وحجرًا.

وقال أبو عثمان "كان الشّاعر أرفعَ قدرًا من الخطيب، وهم إليه أحوج، لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيّامهم، فلما كثُر الشُّعراء و كثُر الشّعر صارَ

الخطيبُ أعظَمَ قدرًا من الشّاعر" (الجاحظ، 1985،ص84).

وكان الشاعر يمثل الناطق الرسمي باسم القبيلة فإذا نبغ في القبيلة شاعرٌ جاءت القبائل تهنئها بذلك.

وزعم أبو عمرو بن العلاء أن الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذي الرمة، فمن الناس من يولد مطبوعًا، مفوهًا تظهر تلك الموهبة عند الخطيب وعند الشاعر.

4. مفهومالمطبوعين من المولَّدين

تناول الجاحظ المطبوعين من الشعراء المولّدين وعند النقاد، وفاضل بينهم في الطبع، وعين أطبعهم في نظره. وفي ذلك يقول: "والمطبوعون على الشّعر من المولَّدين بشارٌ العُقيليّ، والسّيّد الحِميريّ وأبو العتاهية، وابن عُيَيْنة. وقد ذكر الناسُ في هذا الباب يَحيى بن نوفلٍ، وسلمًا الخاسرَ، وخَلَفَ بن خليفة. وأبان بن عبد الحميدِ اللاحقيُّ أولى بالطّبع من هؤلاء، وبشارٌ أطبَعُهم كلّهم" (الجاحظ،1985، ص50).

ولكن الجاحظ انتقد بشارًا وأخذ عليه مناظرته لحماد عجرد في الشعر، فقال: "وما كان ينبغي لبشّارٍ أن يناظر حمّادًا من جهة الشّعر وما يتعلقُ بالشّعر، لأن حمّادًا في الحضيض، وبشّارًا مع العَيُّوق. وليس في الأرض مولّد قَرَوي يُعَدُّ شعرهُ في المحدث إلاّ وبشّارٌ أشعرُ منه" (الجاحظ،1988، 454).

5. مفهوم قضية السرقات الشعرية

السرقات الشعرية هي أن شاعرًا أخذ شعر شاعر، لفظًا أو معنى، أو أغار على بعض شعره ونسبه لنفسه. ولفظ السرقة في الأدب العربي لا يقف عند حد الأخذ والإغارة أو الاعتداء على أدب الآخرين، وإنما تتجاوز السرقة ذلك إلى أمور أخرى كالتضمين والاقتباس والتحوير والمحاكاة وعكس المعنى إلى غير ذلك. فالآمدي يعدها من مساوي الشعراء والجرجاني يرى أنها داء قديم وعيب عتيق وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه. (الجرجاني، ص214) .أما ابن رشيق فقال: "وهذا باب متسع جدالًا يقدر أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه" (رشيق،1934، ص1335).

أما ابن سلام "فهو أول من تحدث عن سرقات الجاهلية" (الجمحي،ص733-734)

السرقات الشعرية عند أبي عثمان عمرو بن بحر:

وحديث أبي عثمان في قضية (اللفظ والمعنى) قاده إلى الكلام عن مشكلة (السرقات الشعرية) أو مشكلة (أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض) على حد تسميته.

وفي ذلك قال: "ولا يعلم في الأرض شاعر تَقَدَّمَ في تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ، وفي معنًى غريبٍ عجيب، أو في معنًى شريف كريم، أو في بديعٍ مُخترع، إلاّ وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُعَراءِ منْ بَعدِه أو معه، إنْه ولم يعدُ على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره، فإنّه لا يَدعُ أن يستعينَ بالمعنى، ويجعَلَ نفسه شريكًا فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعُه الشعراءُ فتختلف ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ، ولا يكون أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قط، وقال إنَّه خطرَ على بالي من غير سماع، كما خطَر على بال الأوّل، هذا إذا قرَّعُوه به، إلاَّ ما كان من عنترة في صفةِ الذباب؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء فلم يعرضْ له أحدٌ منهم، ولقد عَرضَ له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى، ومن اضطرابه فيه، أنّه صار دليلًا على سوء طبعه في الشعر" (الجاحظ،1988،ص149).

قال عنترة:

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم

فترى الذُّبابَ بها يغنّي وحْدَه هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنّم

غَرداً يُحكُّ ذِراعَه بذِرَاعهِ فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذم

قال: "يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد، والأجذم: المقطوع اليدين، فوصف الذّباب إذا كان واقعًا ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين، يقدَحُ بعودين، ومتى سقط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك.ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة" (الجاحظ،1988،ص 149) .

فالجاحظ عرّف السرقات الشعرية بأنها (أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض) ثم قرر أنها لا تكون في معنى مطلق، وإنما تكون في المعنى الغريب العجيب، أو في المعنى الشريف الكريم، أو في المعنى البديع المخترع.

كما قال بأنها تكون بأخذ معاصر من معاصر، أو بأخذ متأخر من متقدم، وأن الأخذ قد يكون بسرقة بعض الألفاظ أو ادعائه بأسره، وأن المعاني المشتركة مع اختلاف الألفاظ والأوزان يصعب فيها تحديد الآخذ والمأخوذ منه، لدعوى كل شاعر بأن المعنى خطر على باله من غير سماع، وأن المعنى الذي يتحاماه الشعراء هو المعنى البديع المخترع لصعوبة إخفائه أو الارتفاع في التعبير عن مستوى مخترعه.

ولا شك أن الجاحظ كان من أوائل من تطرق لقضية (السرقات الشعرية) وسار على دربه النقاد ونوعوها أنواعًا ولقبوها ألقابًا غريبة، كالإغارة، والنصب، والاختلاس، والانتحال،الاجتلاب، والاستلحاق، والاهتدام، والمرافدة.

هناك فرق بين السرقة والأخذ الحسن، بعض الشعراء يأخذون من بعض وهناك من يسيء إلى المعنى فيفسده، وهذا عيب.

6. رأي أبي عثمان في صناعة الشعر

يرى أبو عثمان أن الشعر (صناعة) مما يدل على أنه يُؤثر اللفظَ على المعنى، وقدر الشعر وقاسه بمقياس جودة الأسلوب وصحة الطبع.

نجد ذلك فيقوله: "وذهب الشيخ –أبو عمرو الشيباني– إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويَّ والقَرَويُّ والمدنيُّ. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيرِ اللفظ، وسهولة المَخرج، وكثرةِ الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النسج، وجنسٌ من التصوير". (الجاحظ،1988،ص 132).

7. رأي(أبي عثمان) في الشعر الوسط

لم يثبُت أبو عثمان على رأي واحد بالنسبة للشعر الوسط، فهو مرة يؤثره ومرة يذمه وقد جاء إيثاره للشعرِ الوسط في تعقيبه على موعظة لبعض الربانيين*من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق ويبغض الإغراق في القول، والتكلف والاجتلاب* ويعرف أكثر أدواءِ الكلام ودوائِه، وما يصيب المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول، وما يصيب السامع من الافتتان بما سمع.

وهذه موعظة الرباني في الأديب البليغ، قال: "أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ، وحلاوةَ مخارج الكلام، فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مَخرجًا سهلًا، ومنحه المتكلم دَلاً مُتَعشَّقًا، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملًا. والمعاني إذا كُسِيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصافَ الرفيعة تحوَّلت في العيون عن مقادير صُوَرها، وأربَتْ على حقائق أقدارها، بقدرِ ما زُيِّنت، وحَسَبِ ما زُخرِفت. فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض*وصارت المعاني في معنى الجواري" (الجاحظ،1985،ص 254).

وقد عقب أبو عثمان على هذه الموعظة بقوله: "فالقصد في ذلك أن تجنب السوقيَّ والوحشيّ لا تجعلَ همَّك في تهذيب الألفاظ، وشغلَك في التخلُّص إلى غرائب المعاني. وفي الاقتصاد بلاغٌ، وفي التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة، وخروجٌ من سبيلِ من لا يحاسب نفسَه. وقد قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنَّها نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعْبَاً

لا تَذهَبَن في الأمورِ فَرطا وكُن مِن الناسِ جَميعاً وَسطاً

وليكن كلامُك ما بين المُقصِّر والغالي، فإنك تسلم من المِحنة عند العلماء ومن فِتنة الشيطان" (الجاحظ،1985،ص 255).

نستشف من ذلك الوسطية بين الناس في القول،أي خير الأمور أوسطها.

أبو عثمان أخذ هنا بمذهب الوسط في الكلام. أما عن ذمه الشعر الوسط فقد جاء في معرض إبداء رأيه في كلام الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء، قال وأنا أقول: "إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا آنَق، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتَقُ للِّسان، ولا أجودُ تقويماً للبيان مِن طول استماعِ حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماءِ البلغاء. وقد أصابَ القومُ في عامَّةِ ما وَصَفوا، إلاّ أنّي أزعمُ أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني. وقد يُحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع، وربّما أمتعَ بأكثرَ من إمتاع الجزلِ الفخم من الألفاظ، والشريفِ الكريم من المعاني. كما أنّ النادرةَ الباردة جِداً قد تكون أطيَبَ من النادرة الحارَّة جدًّا. وإنّما الكَربُ الذي يَختِم على القلوب، ويأخذُ بالأنفاس، النادرةُ الفاترة التي لا هي حارّةٌ ولا باردة. وكذلك الشِّعر الوسَط، والغِناء الوسط. وإنّما الشّأن في الحارّ جدًّاً والباردِ جدًّا" (الجاحظ،1985،ص 145).

وهذا كلام يغني عن كلِّ وصفٍ وتعليق بالنسبة لرأي الجاحظ في الشّعر الوسط، أو الشّعر الفاتر الذي لا هو حار ولا بارد.

8. رأي(أبي عثمان) في شعر العرب المولَّدين

والجاحظ الذي عاش في عصر كانت الخصومة فيه على أشدها بين أنصار القديم والحديث من الشّعر، أو بين العرب والمولّدين من الشّعراء لم يتوانَ عن إبداء رأيه في هذه القضية.

وعند أبي عثمان أنّ عامّة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولَّدين في مجموعهم، وهذا الحكم التفضيل فيه لا يشمل كل ما قالوه. كذلك يرى الجاحظ أن راويه الشّعر العالم بجوهره لا يخفى عليه صحيح الشعر وزائفه، وأنه يعرف موضع الجيّد عند أي شاعر كان، وفي أيّ زمانٍ كان.

وفي ذلك يقول: "والقضيةُ التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها أن عامة العرب والأعراب والبدوِ والحضرِ من سائر العرب، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقُرَى من المولّدَةِ والناتية. وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت أُناسًا منهم يهرجون أشعار المولّدين، ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قطُّ إلاّ في راويةٍ للشعر غيرِ بصيرٍ بجوهرِ ما يَروي. ولو كان له بَصرٌ لعرَف موضعَ الجيّد ممَّن كان، وفي أيّ زمان كان" (الجاحظ، 1988، ص 130).

كما فرّق بين المولّد والأعرابيّ من جهة جودة الشعر، وأن المولّد يلحق بالأعرابي في الأبيات لا في القصائد الطوال.

ويقول في ذلك: "إن الفرق بين المولّد والأعرابيّ أن المولّد يقول بنشاطه وجَمع بالِه الأبياتَ اللاحقةَ بأشعار أهل البدو، فإذا امعَنَ انحلَّتْ قُوّتُه واضطرب كلامه" (الجاحظ،1988، ص 130).

---

*الرباني: العالم الراسخ العلم، او العالم العامل المعلم

*الاجتلاب: ان يجتلب معاني سواه، اي يسرقها لفقره في معانيه.

*المعارض :جمع معرض، على وزن منبر ،وهو ثوب تجلى فيه الجارية او العروس

9. موقف أبي عثمان من النحاة والرواة

قلّل أبو عثمان من شأن النحاة ورواة الأخبار والأشعار في النقد وعلّى عليهم عامة الرواة من رواة الكتّاب وحُذّاق الشعر.وقال في هذا: "وقد جلستُ إلى أبي عبيدة، والأصمعي، ويحيى بن نُجيم* وأبي مالك عمرو بن كِركِرةَ * مع من جالستُ من رُواة البغداديين، فما رأيت أحدًا منهم قصد إلى شعرٍ في النَّسيب فأنشده. وكان خلفٌ يجمع ذلك كلَّه" (الجاحظ،1988، ص259).

"ولم أر غاية النحويّين إلا كلَّ شعرٍ فيه أعراب. ولم أر غايةَ رواة الأشعار إلاّ كلَّ شعرٍ فيه غريبٌ أو معنىً صعبٌ يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غايةَ رواةِ الأخبار إلاّ كلَّ شعرٍ فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامّتَهم - فقد طالت مشاهدتي لهم- لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن، وعلى السَّبك الجيّد، وعلى كلّ كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلي حِسان المعاني. ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر" (الجاحظ،1988، ص259) .

وهذ فهم جيد، كل يوظف البيت الشعري للعرض الذي ينشده.

في رأى أبي عثمان أن معرفة النحو وحده، أو غريب الشعر وحده أو الشعر الذي يتضمن الشاهد أو المثل وحده لا يكفي، وإنّما الرواة وحُذَّاق الشعر ممّن يتمتعون بثقافة عالية، هم أهل العلم بالشعر وأحق الناس بتقديره ونقده.

10. رأي (أبي عثمان) في أبي نواس

يقول أبو عثمان: "ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس" (الجاحظ،1988، ص457). كما يرى أن المتأمل في شعره بروح بعيدة عن العصبية والهوى لا يسعه إلاّ أن يُفضله.

وقد أورد أبو عثمان هذا الرأي في معرض حديثه عن معرفة أبي نواس بالكلابِ، حيث يقول في ذلك: " وأنا اكتب لك رجزه -(أبي نواس)- في هذا الباب، لأنه كان عالمًا راوية، وكان قد لعب بالكلابِ زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب.وذلك موجود في شعره، وصفاتُ الكلاب مستقصاةٌ في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة. وإن تأملتَ شعره فضلتهُ، إلاّ أن تعترضَ عليك فيه العصبيةُ، أو ترى أنّ أهل البدوِ أبدًا أشعرُ، وأن المولّدين لا يقاربونهم في شيء فإن اعترضَ هذا البابُ عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل، ما دُمتَ مغلوباً)) (الجاحظ،1988،ص 27).

وأبو عثمان مع ذلك يعيب على أبي نواس (الغلو) الذي تمادى فيه إلي حد الكفر. فهو يرى أن أبا نواس قد كان يتعرض للقتال بجهده، وأنه لما قال في مدح العباس بن عبيد الله بن أبي المنصور:

كيف لا يُدنيك من أملٍ مَن رسول الله مِن نَفَره؟

أحدث هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء، فأخذوا عليه قوله (من رسول الله من نفره) لأن هذا كلام مستهجن موضوع في غير موضعه، لأن حق رسول أن يضاف إليه، ولا يضاف إلى غيره.

فأحبِبْ قريشاً لحبِّ أحمدِها واشكرْ لها الجزْلَ من مواهبِها

فلما قال في أحمد بن صالح الذي كان يتعشقه:

أَحبِب قُرَيشاً لِحُبِّ أَحمَدِها وَاعرِف لَها الجَزلَ مِن مَواهِبِها

جاء بشيء غطى على الأول ولما قال أيضا في أحمد هذا:

يا أحمد المُرتَجى في كل نائبةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعصِ جبَّارَ السماواتِ

غطى هذا الأول.

ويرى أبو عثمان أن هذا البيت "مع كفره مُقيتٌ جدًا، وأنّ أبا نواس كان يُكثر في هذا الباب" (الجاحظ،1988، ص454). وهذا كلام جيد ونقد إسلامي في صميم الأدب الإسلامي.

وقاده الحديث عن غلو أبي نواس إلى ذكر ما أُخذ عليه من الخطأ في شعره، فقال: وأما سوى هذا الفن – الغُلوّ فلم يعرفوا له من الخطأ شعره إلا قولَه:

أمستخبرَ الدَّارِ هل تنطقُ أنا مكان الدار لا أنطِقُ [1]

كأنَّها إذ خَرِسَتْ جارِمٌ ين ذوي تَفْنِيدِهِ مُطرقُ [2]

فعابوه بذلك، وقالوا لا يقول أحدٌ (لقد سكت هذا الحجرُ، كأنه إنسانٌ ساكت، وإنما يُوصَف خَرسُ الإنسان بخرس الدار، ويُشَبَّه صَمَمُه بصمِمِ الصخر).

---

[1]- الشطر الأول في هذا البيت غير مستقيم الوزن، ولكن هكذا ورد كتاب الحيوان

[2]- الجارم : الجاني والتنفيد: المراد به: اللوم والعذل ، وهو ايضا التكذيب والتعجيز وتخطي الرأي وتضعيفه

وعابوه بقوله حين وصف عين الأسد بالجُحوظِ فقال:

كأنَّما عينه إذا ألْتهبتْ بارزة الجفن عينُ مخنوقِ

وهم يصفون عين الأسد بالغور قال:قال الراجز:(كأنما ينظر من جوف حَجَرْ)

وقال أبو زيد الطائي:

كأن عينيه في وَقبَيْنِ من حَجَرٍ قِيضًا اقتياضاً بأطراف المناقيرِ [1]

وقال أبو زيد:

وعينان كالوَقْبين في ملء صَخْرَةٍ * ترى فيهما كالجمْرتين تَسَعُّرا

ومع هذا فإنا لا نعرف بعد بشارٍ أشعرَ منه)). (الجاحظ،1988،ص 456).

وعارض أبو عثمان أبا نواس فى رأيه في الشاعر أبان عبد الحميد اللاحقي وأورد أبو عثمان في كتابه الحيوان قصيدة لأبي نواس يهجو فيه أباناً والزنادقة مطلعها:

جالستُ يوماً أباناً لا دَرّ دَرُّ أبانِ [2]

ومنها

يُريد أنْ يَتسَوَّى بالعُصْبةِ المُجَّانِ

بعَجْرَدٍ وعُبَادٍ والوالبيّ الهِجانِ

وقاسمٍ ومطيعٍ رَيْحانةِ النَّدْمانِ

وعلق أبو عثمان على هذه القصيدة بقوله: "والعجيب أنه –أبا نواس– يقول في أبانٍ: إنه ممن يتشبه بعجرد ومطيع، ووالبةَ بن الحباب، وعلي بن الخليل، وأصبغ، وأبانُ فوقَ مِلءِ الأرض من هؤلاء. ولقد أبانُة وهو سكرانُ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم صُحاة". (الجاحظ،1988،ص 482).

ولا شك أن أبا عثمان كان معلمًا فذًا وقمة شاهقة في تاريخ البلاغة وتاريخ النقد، الإسهام الذي أسهم به في هذين الميدانين يمثل في الواقع خلاصة معارف سابقيه ومعاصريه، هذا بالإضافة إلى الجديد الذي اهتدى إليه هو شخصيًا فأثرى به النقد الأدبي، وانتقل بهما نقلة كبيرة على طريق وتطوره.

وقد كان لأبي عثمان تأثير كبير على من جاء بعده من البلاغيين والنقاد بما قدم للبلاغة والنقد من مادة نقدية، وبما بث فيهما من أفكاره وآرائه الشخصية.

ولم يكن هذا التأثير محصورًا على ما دار من جدل بين هؤلاء العلماء حول آرائه ونظرياته في شؤون البلاغة والنقد، وإنما تجاوز التأثير ذلك إلى الاعتراف به كمجمع أصيل فيهما، وإلى الاعتراف من محيط معارفه البلاغية والنقدية بطريقة أو بأخرى.

وعلى سبيل المثال فابن قتيبة (276ه) لم ير بأسًا في أن يستلهم روحه وينهج نهجه في كتابه عيون الأخبار، وأبو العباس المبرد (285ه) تلميذ الجاحظ قد تأثر به في أدبه، وابن المعتز في كتابه البديع أخذ عنه (المذهب الكلامي) الذي اعتبرهُ أحد الفنون الخمسة الرئيسية لعلم البديع.

وفي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (328ه) نلمسُ روحَ أبا عثمان ونرى بعض أدبه مرتباً بعض الترتيب، وقُدامة بن جعفر (337ه) في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر، نقل كثيراً من الجاحظ. وعلى بن عيسى الرماني (386ه) تأثر به في كتاب (النُّكت في إعجاز القرآن).

وأبو هلالٍ العسكريُّ (395ه) أقرَّ في كتابه الصناعتين أنه ليس إلاَّ شارحًا لأبي عثمان، جامعًا للمتفرّق عند أبي عثمان، مبوبًا له. وأبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (463ه) استفاد منه كثيرًا في كتابه العمدة، كما استفاد منه ابن سنان الخفاجي (466ه) في كتابه سرّ الفصاحة. وغيرهم كثيرون من البلغاء والأدباء والنقاد الذين استفادوا من أدب أبي عثمان عمرو بن بحر.

ونرى بعض من حمل على طريقته كعبد القاهر الجرجاني (471ه) لم يخرج من دائرته، فنقل عنه كثيرًا، وخاصة في قضية (اللفظ والمعنى) بين مخالفة أبي عثمان وموافقته. ويبدو أنّ أبا عثمان قد قصد إلى الطريقة التي اتبعها في تأليف كتبه قصدًا، وعن علم ودراية بما يعمل.

قال عن منهجه في تأليف كتاب الحيوان "إني أُوشّح هذا الكتاب بنوادر من ضروب الشّعر وضروب الأحاديث ليخرج قارئهُ من باب إلي باب ومن شكل إلي شكل، فإني رأيتُ الأسماع تمَلُّ الأصواتَ المطربة، والألحانَ الحسنة، والأوتارَ الفصيحة إذا طال عليها ذلك. وإذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرةَ، كان هذا التدبيرُ لما طال وكثُر أصلح. وما غايتُنا من ذلك كلّه إلاّ أنْ تستفيدوا خيرًا" (الجاحظ،1988، ص162).

وقال أيضًا عن منهجه: "وإنما أكتب لك من كل بابٍ طرفًا، لأنّ إخراجَك من باب إلي باب أبقى لنشاطك، ولو كتبتُه بكماله لكان أكملَ وأنبلَ، ولكن أخاف التطويلَ، وأنت جديرٌ أن تعرِفَ بالجملة التفصيلَ، والآخِرَ بالأول". (الجاحظ،1988، ص162).

وفي رده على بعض نقاده قال: "وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريف، وتفقُّهٍ وتنبيه. وأراكَ قد عِبْتَه قبلَ أن تقِفَ على حدوده، وتفكّرَ في أصوله، وتعتبرَ آخرَه بأوّلِه،ومصادرَه بموارده. وقد غلّطك فيه بعضُ ما رأيت في أثنائه من مَزْجٍ لم تعرِف معناه ومن بطالةٍ لم تطّلِعْ على غَورها، ولم تدر لم اجتُلِبَتْ، ولا

---

[1]-الوقب: بفتح الواو ك والنقرة في الصخرة : قيضا : شقا وحفرا واقتياضا.

[2]-لادر درة : أي لا كثرة خيرة ولا زكا عمله . وقالوا : لله درك أي لله عملك يقال هذا لمن مدح ويتعجب من عمله ، فاذا ذم عمله.

لأي عِلّة تُكلِّفتْ، وأيّ شيءٍ أُريغ بها، ولأي جدٍ احتمل ذلك الهزل، ولأيّ رياضةٍ تُجُشِّمتْ تلك البَطالةُ، ولم تدرِ أن المزاحُ جِدُّ إذا اجتُلِبَ ليكونَ عِلّةً للجِدّ" (الجاحظ،1988،ص 27).

هذا يدل على مكانة الجاحظ واحترامه لبعض نقاده.

11. الحروف التي تدخلها اللثغة

ومن القضايا النقدية التي أثارها أبو عثمان اللُثغة وخاصة عند الشّعراء مما يبين اهتمامه بالمخارج:

قال أبو عثمان: "وهي أربعة أحرف: القاف، والسين، واللام، والراء. فاللُثغة التي تعرِض للسّين تكون ثاء، كقولهم لأبي يَكسوم: أبي يَكثوم. والثانية اللُثغة التي تعرِض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاءً فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال طُلت له. أما اللُثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله :اعتَلَلْتُ: اعتيلْت. أما اللُثغة التي تقع في الراء فإن عددها يُضعِف على عدد لُثغة اللام .

لأن الذي يعرِض لها أربعة أحرف: فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال عمى، فيجعل الراء ياءً. ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو،قال عمغ فيجعل الراء غيناً. ومنهم من إذا أراد أن يقول:عمرو قال: عمذ، فيجعل الراء ذالاً وأنشد قول الشاعر:

واستبدّت مرّةً واحدة إنما العاجزُ من لا يستبدّ

قال:

واستبدتَمذّة واحدةٌ إنما العاجزُ من لا يستبدّ

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة فإذا أراد أن يقول:

واستبدّت مرة واحدةٌ إنما العاجزُ من لايستبدّ

يقول:

واستبدّت مظة واحدةٌ إنما العاجزُ من لا يستبدّ

ومنهم من يجعل الراء غينًا معجمة فإذا أراد أن ينشد هذا البيت (الجاحظ،1985،ص 34-36):

واستبدّت مغة واحدةٌ إنما العاجزُ من لا يستبدّ

كما أن الذي لُثغته بالياء إذا أراد أن يقول: (واستبدت مرة واحدة) يقول: (واستبدت مية واحدة). وربما اجتمعت في الواحد لُثغتان في حرفين، كنحو لُثغة شوشي، صاحب عبد الله خالد الأموي، كان يجعل اللام ياءً والراء ياءً.قال :(موياي ويى أي) يريد:(مولاي ولى الرّايّ). وأحقرهن لُثغة الراء وأيسرهن التي على الغين وأن صاحبها لو جهد نفسه لتخلص منها" (الجاحظ،1985،ص 39).

قال أبو عثمان: "قال الأصمعي: إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام،وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء" (الجاحظ،1985،ص 44).

فجعل الخولاني التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته. وقال:قال ابن سلام الجُمَحى: كان عمرُ بن الخطاب رحمه الله إذا رجلًا يتلجلج في كلامه، قال: "خالقُ هذا وخالقُ عمرو بن العاص واحد"، وقال: "تلخِيص المعاني رِفقٌ والاستعانة بالغريب عَجْز، والتَّشادقُ من غير أهل البادية بُغْض، والنَّظَر في عيون النَّاس عِيّ ومَسُّ اللِّحية هُلْك، والخروجُ مِمَّا بُني عليه أوّلُ الكلام إسهاب" (الجاحظ، 1985، ص39-44).

وقال: رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة و جناحاها رواية الكلام، وحلها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ و المحبة مقرونة بقلة الاستكراه.

وقال: إن مسلم بن الوليد الأنصاري كان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب ومن الخطباء والشعراء: الطرماح بن الحكم الطائي :قال القاسم بن قصد: قال محمد بن سهل: أنشدت الكميت قول الطّرِمّاح:

إذا قُبِضتَ نفسُ الطّرِمّاحِ أُخلَقَتْ عُرَى المَجد واستَرخَى عِنانُ القَصائِد

قال: قال الكميت " إي واللهِ، وعِنان الخَطابة والرّواية. قال الجاحظ: لم يَرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكُميتِ والطّرِمّاح" (الجاحظ،1985،ص 46).

قال أبو عثمان: قال ابن الأعرابي: طلق أبو رماد امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال:

لثغاء تأتى بحيفس ألثغ تميس في الموشى والمصبغ

والحيفس: القصير الصغير.

وقال: أنشدنى ابن الأعرابي كلمة جامعة كثير من هذه المعاني في قول الشاعر:

اسكُتْ ولا تَنطِقْ فأنتَ حَبْحَابْ كلُّك ذو عيبٍ وأنتَ عـَيّابْ

إن صدَق القومُ فأنتَ كذّاب أو نطَقَ القومُ فأنتَ هيـّابْ

"وعاب أبو عثمان على الزّنجي نزع ثناياه لحاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان" (الجاحظ، 1985، ص58).

وهذا يعنى اهتمامه بمخارج الحروف أكثر من المعنى.

وقال: قال أصحاب القلع: "إنهم نظروا إلى مقادم أفواهِ الغَنَم فكرهنا أن تشبه مقادمُ أفواهنا أفواهِ الغَنَم" (الجاحظ،1985،ص 60).

12. الحَصَر والعِيّ

وهي من القضايا التي وقف عندها أبو عثمان، قال: مستعيذًا من فتنة القول وفتنة العمل ومن التكلف ومن العُجب بما نحسن واستعاذ من السلاطة والعِيّ والحصر وقال قديماً ما تعوذُوا بالله من شرّهما وتضرّعوا إلى الله السلامة منهما "لأنهم يجعلون العجزَ والعِي من الخُرْق، كانا في الجوارح أم في الألسنة"(الجاحظ،1985، ص5).

روى أبو عثمان،قول النّمر بن تولب (الجاحظ،1985، ص5):

أعِذني ربّ مِن حصَرٍ وعِيّ ومن نفسٍ أعالجُهَا عِلاجَا

وقال الهذلي:

لا حصَرُ بخُطبَتِهِ إذا ما عَرّتِ الخُطَبُ

وقد عدّ أبو عثمان الحصر والعِيّ من نقصان البيان والبلاغة وقالوا في الصمتِ كقولهم في المنطق وأورد قول أُحَيحَة بن الجُلاح:

والصمتِ أجمَل بالفتى ما لم يكن عِيّ يُشَينُهْ

والقول ذو خَطَل إذا مَا لم يكن لُبّ يُعِينُهْ

وقال: قال مكيُّ بن سوادةَ:

وتسلّمَ بالسُكوتِ من العيوبِ كان السّكتُ أجَلَبَ للعيوبِ

ويرتجلُ الكلامَ وليس فيه سوى الهَذَيانِ من حَشدِ الخطيبِ

قال أبو عثمان: قيل لبُزُر جِمِهْرَ بن البختكان الفارسيّ:أيُّ شيءٍ أستَر للعِيّ؟ قال عقلٌ يحمِله. قالوا: فإن لم يكن له عقلٌ. قال: فمالٌ يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال قال فإخوانٌ يعيّرون عنه. قال: فيكون عيِيًا صامتًا. قالوا: فإن لم يكن ذا صَمت.قال: فموت خيرٌ له من أن يكون في دار الحياة. مستشهدًا بقوله تعالى: ((واحلُلْ عُقدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفقهُوا قَولِي)) (سورة طه،الآية13).

وقوله تعالى: "أم أنَا خَيرٌ من هذا الذي هو مَهِينٌ ولا يكادُ يُبِينُ" (سورة الزمر الآية 20).

وذلك في تعلق فرعون بكل سبب وقوله تعالى: ((ويضِيقُ صَدرِي ولا يَنطلِقُ لِسَانِي)). وذلك رغبة منه في الإفصاح بالحجة.ولكن الله سبحانه وتعالى حل تلك العقدة وأطلق لسان موسى وأورد الجاحظ قوله تعالى:((قال قد أُوتِيتَ سُؤلَكَ يا مُوسَى)) (سورة، طه، الآية 36).

وسمي الله القرآن فرقانًا، قال أبو عثمان "والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل إلاّ أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم و كذلك المعلّم و المتعلّم" (الجاحظ،1985،ص 12).

هذا في قضية البيان، وتكلم الجاحظ عن عِيّ النساء. وأورد قول النمر بن تولب:

وكلُّ خليلٍ عليه الرّعاثُ الحُبُلاتُ ضعيفٌ مَـلِقْ

الرعاث: القرط،الحبلات: كل ما تزينت به المرأة من حسن الحلي. وقال تعالى: "أومَن يُنّشأُ فِي الحِليَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ" (سورة الزخرف،الآية 18).

هذا مما يبين عِيّ المرأة عن حاجتها وقد تلجأ إلى البكاء للاستعطاف. كما فاضل بين سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخُطبة بأعظمَ مما يحدُث عن العيّ من اختلال الحجّة وعن الحَصَر من فوت دَرْك الحاجة. (الجاحظ، 1985، ص12).

وانتقد أبو عثمان المتفيهقين الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم،وأورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (أبغضكُم إليَّ الثّرثارون المتفيقهون).

وعاب الرسول صلى الله عليه وسلم المتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق.

وقال: "كان واصل بن عطاء ألثغ فاحش اللثغ وأسقط الراء من كلامه و أخرجها من حروف منطقه. واللُثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء والغين أقلها قبحًا وأوجدها في كبار السن" (الجاحظ،1985،ص 12).

13. أبو عثمان والصنعة في الشعر والكلام

يرى أبو عثمان أن الشِّعر (صناعة) وهذا يعني أنه يُؤثر اللفظَ على المعنى، ويُقدر الشِّعر ويَقيسه بمقياس جودة الأسلوب وصحة الطبع.

نستنبط ذلك من قوله: "وذهب الشيخ- أبو عمرو الشيباني- إلى استحسان المعنى. والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويَّ والقَرَويُّ والمدنيُّ. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّرِ اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرةِ الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النسج، وجنسٌ من التصوير"(الجاحظ، 1988، ص132).

قال أبو عثمان: قال: "بعض جهابذة الألفاظ و نُقّادِ المعاني:"المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوّرَة في أذهانهم، والمتخلِّجة في نفوسهم، المتَّصِلة بخواطرهم، والحادثة عن فِكَرهم مستورةٌ خفيّه، وبعيدةٌ وحشية،ومحجوبةٌ مكنونة، وموجودةٌ في معنى معدومةٍ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه، ولا حاجة أخيه وخليطِه، ولا معنى شريكِهِ والمعاونِ له علي أموره، وعلي ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره، وإنما يُحي تلك المعانيَ ذكرُهم لها، وإخبارُهم عنها واستعمالُهم إيّاها". (الجاحظ،1985، ص 75).

كما تكلم أبو عثمان في الإشارة بأنها لغة مفهومة وفي الإشارة اختصار لكلام كثير. وفي ذلك إيجاز والإشارة تكون باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخص وبالثوب وبالسيف"(الجاحظ، 1985، ص75). وما أكثرَ ما تنوب الإشارة عن اللفظ.

"وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفقٌ كبير ومَعُونة حاضرة. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاصّ" (الجاحظ، 1985، ص78).

قال أبو عثمان: قال الشاعر:

العينُ تُبدِى الذي في نفسِ صاحبها من المحّبةِ أو بُغضٍ إذا كانا

والعينُ تنطق والأفواهُ صامتَةٌ حتّى ترى من ضمير القلب تِبيانا

قال: "هذا ومبلغُ الإشارة أبعد من مبلغ الصّوت" (الجاحظ، 1985، ص79).

أما الصوت: فقال هو آلة اللفظ.أما الخط:فمما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخط،وأورد الآيات:"اقرأ وَرَبُّكَ الأكرَمُ الذي عَلّمَ بالقلمِ"، وقوله تعالى :"ن والقَلَمِ وما يَسطُرُون"(سورة القلم ،الآية،1).

وقال: قالوا: القلم أبقي أثرًا واللسان أكثرُ هَذَرًا.

وأما القول في العَقْد: وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ،فقال:"الحساب يشتمل علي معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة، ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الحِساب في الدنيا لمَا فهِمُوا عن الله عز وجل معنىَ الحسابِ في الآخرة" (الجاحظ، 1985، ص5).

أما النِّصبة: فهي الحالُ النَّاطقة بغير اللّفظ والمشِيرة بعد اليد.وقد أورد الجاحظ في ذلك بعض الخطب،مثل خطبة الفضل بن عيسى بن أبان:قال: "سَل الأرضَ فقُلْ: من شَقَّ أنهارَكِ،وغَرَس أشجارَك، وجَنَى ثِمارَكَ؟ فإن لم تجبْكَ حِوارًا،أجابتك اعتبارًا" (الجاحظ، 1985، ص81).

وقال:"إنّ الدلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمِعتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ويدعو إليه ويحثُّ عليه. وبذلك نَطَقَ القُرآنُ، وبذلك تفاخَرَت العَرب وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم"(الجاحظ، 1985، ص75).

وفي تعريفه للبيان قال: "البيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشَفَ لك عن قِناعَ المعنى،وهتَكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتى يُفضِيَ السامعُ إلى حقيقته ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ،ومن أيّ جنسٍ كان الدّليل،لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِى القائل والسّامع،إنَّما هو الفَهمُ والإفهام فبأيّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحتَ عن المعنى فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع" (الجاحظ،1985، ص76).

ويرى أبو عثمان "أن حُكمَ المعاني خلافُ حُكمِ الألفاظ،لأن المعانيَ مبسوطةٌ إلى غير غاية،وممتدّةٌ إلى غير نهاية وأسماءَ المعاني مقصورةٌ معدودة ومحصّلةٌ محدودة". (الجاحظ،1985، ص76).

ولأبي عثمان في قضية اللفظ والمعنى قول واضح، وحصر أبو عثمان أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ في خمسة أشياء:أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ، ثم الخط،ثم الحال التي تسمى نصبة.وقال: قال سهل بن هرون "العقل رائد الرُّوح، والعلمُ رائدُ العقل، والبيان تَرجمان العلم" (الجاحظ،1985،ص 77).

في قوله: البيانُ تَرجمان العلم قضية يمكن أن نجملها في المثل السائر(كل إناء بما فيه ينضح)

14. التحكيم بين قولين

وتكلم أبو عثمان في أمر التحكيم بين قولين روى: قول سهل بن هرون: "إذا كان الخليفةُ بليغًا والسيّد خطيبًا، فإنَّك تجِدُ جمهورَ الناس وأكثر الخاصَّة فيهما على أمرين: إما رجلًا يُعطى كلامَهما من التعظيم والتّفضيل، والإكبار والتبجيل،على قدر حالِهما في نفسه، ومَوقِعهما من قلبه، وإما رجلًا تعرِضُ له التُّهمة لنفسه فيهما، والخوفُ من أن يكون تعظيمُه لهما يُوهمه منصَوابِ قولهما، وبلاغة كلامهما، ما ليس عندهما،حتَّى يُفرط في الإشفاق، ويُسرِف في التُّهمة، فالأوّلُ يريد في حقِّه، للذي له في نفسه، والآخر ينقُصه من حقّه لتُهمتِه لنفسه، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعًا في أمره، فإذا كان الحُبُّ يُعمِى عن المساوي، فالبُغض أيضًا يُعمِى عن المحاسن. وليس يَعرِف حقائقَ مقاديرِ المعاني، ومحصول حدود لطائف الأمور، إلّا عالمٌ حكيم، ومعتدلُ الأخلاط عليم، وإلا القويُّ المُنّة، الوَثيق العُقدة، والذي لا يميل مع ما يستميل الجُمهورَ الأعظمَ والسوادَ الأكبر" (الجاحظ،1985، ص90).

وكما روى أن: "المعيبُ عند النّاسِ ليس هو الذي لا يَعرِف ما يكون منه من الحُسن. والمعرفة لا تدخُل في باب التسمية بالعُجب وقال العُجبُ مذموم" (الجاحظ،1985، ص98).

وروى الجاحظ أن "البيان أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لابد له منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئًا من التعقد، غنيًا عن التأويل. أما في التخير بين أبيات الشعر قال أبو عثمان: "أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمعتَ صدرَه عرَفتَ قافيتَه" (الجاحظ،1985، ص116).

قال العجير السلوكي:

فظَلّ رِداءُ العَصب مُلقًى كأنّه سَلَى فرسٍ تحتَ الرّجال عقيرِ

قال المحقق في البيت إقواء: والإقواء اختلاف الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة. وستجد ذلك في عيوب الشعر التي تكلم عنها ابن قتيبة. قال الفرزدق "أنا عند الناس أشعرُ العرب، ولرُبَّما كان نزعُ ضرسٍ أيسرَ عليَّ من أن أقول بيت شعر" (الجاحظ،1985،

ص130).

وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجِه وضعف قُوّته وأن يعتريَ الخطيبَ البُهْرُ والارتعاش والرِّعدة والعَرَق. قال: (إن الجياد نضاحة بالماء) (الجاحظ،1985،ص 133).

قال بشر بن المعتمر (ت210 ه) "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (الجاحظ،1985، ص140).

"كما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيدة وقصار الأرجاز ألقابًا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء" (الجاحظ،1985، ص140).

وقال قد تحسن أيضًا ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس، وفي كل ما قالوه على وجه التَّظرُّف والتملح.

كقول أبي نُواس:

وذات خدٍ مُورَّد قُوهّية المُتَجَـرَّدْ

تأمّلُ العَيْنُ منهـا محاسناً ليس تنفَـدْ

فبعضُها قد تَناهَـ و بعضُها يتولّـدْ

والحسـنُ في كلّ عضوٍ منها مُعادٌ مُردَّدْ

ومن قضايا التحكيم قال أبو عمرو بن العلاء: اجتمع ثلاثة من الرُّواة فقال لهم قائل أيّ نِصفِ بيت شعرٍأحكَمُ وأوجَز؟ فقال أحدهم قول حُميد بن ثَور الهِلاليّ*:

(وحَسُبْكُ داءً أن تَصحَّ وتَسلما)

قال أبو عثمان: "لعل حُميدًا أن يكون أخذه عَن النَّمر بن تولب. وهنا قضية نقدية وهي الأخذ الحسن فإنّ النَّمر قال" (الجاحظ،1985، ص154-155):

يُحبُّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنى فَكيف تَرىَ طُولَ السَلامةِ يَفعلُ

وقال الثاني من الرُّواة الثلاثة: بل قول أبي خراش الهذلي:

(ونُوكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلّ ما يَمضِي).

وقال الثالث: بل قولُ أبي ذُؤيبٍ الهُذَلِيّ*:

(وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنَعُ)

فقال قائل: هذا من مفاخر هُذيل أن يكون ثلاثةٌ من الرُّواة لم يصيبوا في جميعِ أشعار العرب إلاّ ثلاثةَ أنصافٍ، اثنان منها لهذيلٍ وحدها (الجاحظ،1985، ص154-155).

وهنا حكم بجودة شعر قبيلة هُذيل على غيرها من القبائل وفضل شعرائها. وحذر الجاحظ من مِيسم الشِّعر، ومن شدّة وقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجوّ، قال امرؤ القيس بن حُجر:

ولَوْ عَن نَثًا غَيرِهِ جاءني وجُرْحُ اللِّسان كجرحِ اليدِ

وقال طرَفة في ذلك:

بحُسَامِ سَيفكَ أو لسانِكَ والكَلِمُ الأصيل كأرْغَبِ الكَلْمِ

هذا من جرح اللِّسان أي يكون وقع كلام اللسان أشدّ ألماً من جرح السهام، وفي تراثنا السوداني أمثال تنطبق على هذا. وكان زهير بن أبي سلمي وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمي كبار قصائده (الحوليات)، وقال نوح بن جرير قال الحطيئة(خيرُ الشِّعر الحوليّ المنقَّح) وقال البعيث الشاعر:

تبعث مني ما تبعث بعدما استمر فؤادي واستمر عزيمي

وكان أخطَبَ النّاس "إنّي والله ما أُرسِل الكلامَ قضيبًا خشيبًا، وما أريد أن أخطُبَ يوم الحفل إلا بالبائِت المحكَّك" (الجاحظ،1985، ص204). وكان الجاحظ يظن أن قولَهم محكّك كلمةٌ مولّدة.

القضية النقدية التي أثارها الجاحظ هنا ما بين كلمة (محكّك)، (وبائِت)، وهما يحملان معنى واحد أيّ كانوا ينقحون شعرهم ولو مكث ذلك حولًا. ومولّدة أيّ كلمة لم يستعملها العرب ومنها الشعراء المولّدين.

قال أبو عثمان قيل لابن التوأم الرقاشي تكلم فقال: (ما أشتهي الخُبز إلا بائتًا) قال عبيد الله بن سالم لرؤبة: مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت قال: وكيف ذلك قال: رأيتُ اليوم عُقبةَ بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبني قال: فقال رؤبة نعم إنّه ليقول ولكن ليس لشعره قِرَانٌ) (الجاحظ،1985، ص205). ويُريد بقوله قِران التشابه والموافقة.

قال عُمر بن لجإٍ لبعض الشُّعراء:"أنا أشعر منك! قال: وبم ذاك؟ قال: لأنّي أقولُ البيت وأخاه وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه" (الجاحظ،1985،

ص207). وكان الأصمعي يفضل شعر النابغة الجعدي.

وقال: "(الحطيئة عبدٌ لِشعرِه) وعاب شعره حين وجده كلّه متخيّرًا وذلك لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه. وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ أنا أقولُ في كلّ ساعةٍ قصيدةً وأنت تقرِضُها في كلّ شهرٍ فلم ذلك؟ قال لأنّي لا أقبل من شيطاني مثلَ الذي تقبَلُ من شيطانِك" (الجاحظ،1985، ص207). وهذا ما يؤكد زعمهم بأن هناك واديًا للجن يقولون فيه الشعر. "وأنشد عُقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرًا وقال له كيف تراه؟ قال: يا بُني إنّ أباك ليَعرِضُ له مثلُ هذا يمينًا وشمالًا فما يلتفت إليه" (الجاحظ، ص207).

أي إنه كان يتخيّر وينتخب المستوى من الشعر، ورأوا مثل ذلك في زهيرٍ وابنه كعب. "وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة لِمَ لا تُطِيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعُنق" (الجاحظ، ص207).

وقيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ فقال: "الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه" (الجاحظ، ص208). والقضية التي أثارها الجاحظ هنا أنّ للشّعر أوقاتًا يحسن فيها نظمه.

وروى الجاحظ أن الفرزدق الذي كان يلقب بزير النساء ليس له بيتٌ واحدٌ مذكور في النسيب وجريرٌ عفيفٌ لم يَعشَق امرأةٌ قطّ، وهو مع ذلك أغزَلُ النّاسِ شِعرًا. وقال الفرزدق "أنا عند الناس أشعرُ النّاس وربَّما مرَّتْ عَلَيَّ ساعةٌ ونزعُ ضرسٍ أهونُ عليَّ من أن أقول بيتًا واحدًا" (الجاحظ،1985، ص208).

الخاتمة والنتائج:

اشتمل البحث على مقدمة ومستخلص للبحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

في المبحث الأول حاولنا الكشف عن شخصية أبي عثمان والمفاهيم النقدية، مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح ووظيفة النقد والمفاهيم النقدية التي وردت في طيات كتبه.

- وقفنا عند العصر العباسي بما امتاز به من قوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة متأثرًا بالحضارات السابقة.
- الوقوف عند مفهوم (اللفظ والمعنى) لا يقصد به اللفظ المفرد وحده أو المعنى المفرد وحده.
- أشاد أبو عثمان باللفظ كثيرًا وهذا لا يعنى أنه يقدمه على المعنى.
- الوقوف عند جيد الشعر ورديئة وخاطئه وأقسامه وطبقاته التي لفت إليها ابن قتيبة.
- الاستفادة من منهج الجاحظ النقدي، إذ كان متخير اللفظ لطيف المعنى، وموقفه من قضية اللفظ والمعنى.
- أضاف أبوعثمان لفظة (النظم) إلى قاموسه اللغوي للإشارة إلى أكثر من معنى.
- يرى أبو عثمان أن الشِّعر (صناعة) وهذا يعني أنه يُؤثر اللفظَ على المعنى.
- نخلص إلى أن أبا عثمان انحاز إلى جانب اللفظ ونلمس سماحةأبي عثمان، وأن الصنعة عنده تعنى التجويد.

المراجع:

- القران الكريم.

ابن سلام، الجمحي. (د.ت). *طبقات فحول الشعراء*. ط2-القاهرة.

أبو عثمان، الجاحظ. (1985). *البيان والتبيين*. تحقيق عبد السلام محمد هرون-ط5.

احمد، رضاء. (1960). *معجم متن اللغة*. مجلد5 ص 525 مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

احمد، أمين. (1958). *ظهر الإسلام*. مطبعة خلف.

الجرجاني، أبو الحسن. (د.ت). *الوساطة بين المتنبي وخصومه–تحقيق محمد أبو الفضل وعلى محمد البجاوي*. ط3، دار إحياء الكتب المصرية، مكتبة عيسى البابلي وشركاه.

الجوهري. (د.ت). *الصحاح في اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة والمصطلاحات العلمية والفنية للمجامع للجامعات العربية*. تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد و تصنيف نديم مزعشلي، اسامة مزعشلي، دار الحضارة. بيروت، لبنان

الحسن بن رشيق، القيرواني. (1934). *العمدة في محاسن الشعر*. محمد محي الدين عبدا لحميد.

الخليل، الفراهيدي. (د.ت). *كتاب العين*. دار إحياء التراث العربي.

شوقي ضيف. (د.ت). *تاريخ الأدب العربي. العصر العباسي الأول*، ط2- دار المعارف.

شوقي، ضيف. (د.ت). *النقد الأدبي*. ط 2 دار المعارف.

عبد السلام، هرون. (1988). *الحيوان*. ج3، دار الجيل.

عبد العزيز، عتيق. (1986). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*. دار النهضة العربية للطباعة و النشر. ط 4.

فاروق الطيب. (د.ت). *محمد محمد على ناقداً*. رسالة دكتوراه، جامعة أمدرمان الإسلامية.

فؤاد، السيد. (1990). *معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي و الإسلامي*. دار العلم للملاين-ط1-مارس.